

الأستاذ عثمان الصالح يضرب مثلاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (1) كتبت مرة في إحدى الصحف عن تميز ثلاثة ممن هداهم الله للإصلاح الديني: (ابن باز وابن عثيمين) رحمهما الله (وابن فوزان) حفظه الله، وعن تميز ثلاثة ممن هداهم للإصلاح الدنيوي: (عبد العزيز الخويطر وغازي القصيبي وعمر قاضي).
- (2) وكتبت مرة عن (الجميح وابن سليمان وأبا حسين) في سبقهم إلى إيصال الماء إلى بيوت قرانهم في زمن ينتظر الناس من الدولة أن تعطيهم كل شيء، وليتهم ماثلوا من قال الله فيهم: (فإن أعطوا من هذا رضوا وإن لم يعطوا من هذا إذا هم يسخطون) [التوبة: 58] فإن أكثر المتأخرين منهم يسخطون، مع أنهم وآبائهم أعطوا من خير الدين والدنيا ما لم يعطه أجدادهم منذ القرون الأولى؛ أما من الدين: فقد جدد الله بدولتهم الدين ثلاث مرات في القرون الثلاثة الأخيرة فظهر الله بلادهم من أوثان المقامات والمزارات والمأزرحة والمشاهد، ومن الذوايا المصوفية وما أحدثته من لوثات البدع في الدين (المشرك الأكبر دعاءً وذبحاً ونذراً لغير الله وطواضاً بغير بيئة وما دون ذلك من أنسالك الهوى والضلال)، وأما من الدنيا: فقد نقلهم الله من حال المجوع والمفقر والخوف والجهل (بظاهر الحياة الدنيا) ومطاردة المحطوب والعشب والمضب والأرنب إلى حال الشيع والأمن والغنى والعلم، كانوا يمتنون أنفسهم بالسفر في طلب الرزق إلى الهند: (إذا نفذ ما عندك فالهند هذلك) وإلى بلاد الشام: (إذا ما الزمان ضامك فالشام شامك). وكان القليل النادر منهم من يتيسر له الرحيل للغوص في الخليج أو التجارة في مصر وفلسطين؛ فصار الناس يرحلون إلى بلادهم من أقصى الأرض للعلم والعمل والدين والدنيا، ولكن أكثرهم يجهلون أو يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وقال الله تعالى: (وقل ليل من عبادي الشكور) [سبأ: 13]، (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) [البقرة: 243].
- (3) وكتبت مرة عن تميز (عبد الرحمن المثري) بالسعي لتوفير أجهزة غسل الكلى في كل مكان من هذه البلاد المباركة المترامية الأطراف.
- (4) بل كتبت عن تميز (آيرلندا) بتعاون أهلها على انتشارها من درك المانهيار الاقتصادي، والصبر والمجاهدة والتضحية لتحقيق ذلك.
- (5) وكتبت عن تميز أهل (عمان) على جميع العرب بل والعجم خلُقاً وطاعة لولاءة أمرهم، ومحافظة على التنظيم لمصلحة الجميع. وقد مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم.
- (6) وكتبت عن تميز (محمد يونس البنگالي) بابتكار ذوق من الإغاثة لم يسبق إليه: الإقراض للإنتاج (قبل الاستهلاك) والاكتفاء الذاتي.
- (7) وكتبت عن عشرات من الأغنياء ومن دونهم (في أوروبا وأمريكا) تميزوا بابتكار أهداف دنيوية تتجاوز المتاع الدنيوي الذاتي إلى تحقيق مصلحة الغير (فرداً أو جماعة) في بلادهم وخارجها.
- (8) ونوهت مرات عديدة بتميز (شركة عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح - شركة الجميح القابضة) على جميع الشركات والأفراد في بلاد التوحيد والسنة بكفالة عشرات من دعاة المنهج النبوي المتابعين لمكتب الشيخ ابن باز رحمه الله (في حياته وبعد مماته) وعشرات منهم خصني الله بخدمتهم، وبلغ عددهم نحو مئة وخمسين، بينما توقف التمويل من الشركات الأخرى، واختص بعضها بتمويل الحزبيين والحركيين والخارجيين على الأمة والأئمة، وقبل عشر سنوات ذكر أحد قادة الإخوان الضال (سعودي من أصل عراقي) أن رئيس شركة مصرفية في المملكة المباركة وعددهم ذلك العام بإعانة قدرها مائتي مليون دولار.
- (9) وكتبت مرة عن تميز (أشيقر) على جميع مدن وقرى الأرض المباركة (جزيرة العرب) بالعلم والعمل والخُلق ومشاركة الدولة في الإصلاح.
- (10) وشرق الأكثرون بهذا الاعتراف بالجميل، وبهذا الشناء على من يستحقه، وبهذا التنويه بصفات وأخلاق وأعمال الخير في الناس والبلاد وولاية الأمر (أمراء وعلماء)، وعذرهم المشرووم أنهم ألقوا النظر إلى السوءات والسيئات، فإن لم يجدوها اختلقوها وأشاعوها، وإنما ذلك عدوى من شيطان الجن الذي يخوف أوليائه ويعددهم الفقير ويأمرهم بالفحشاء، ومن شياطين الإنس الذين يحبون أن تشيع الفاحشة والفحش من القول والعمل في الذين آمنوا ومن دونهم. ولقوا جزاءهم من الله في الدنيا حقداً وغللاً وحسداً يملأ قلوبهم فلا تفتأ تنقد ذاراً أشعلوها باختيارهم كمثل الذين (يخربون بيوتهم بأيديهم)، وجعلوا أكبر همهم تأجيحها فلا تخبوا حتى يلفظوا آخر أنفاسهم. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط"، أو "من جزع فله الجزع"، وليس بينهم وبين نبت هذا المرض الاختياري إلا أن يلفتوا أسماعهم وأبصارهم وأفتدتهم للجوانب المرغوبة فيما حولهم ومن حولهم ليألفوا النظر إلى ما حباهم به الله وما أمد الله به غيرهم من نعم الدين والدنيا وما أكثرها: (وإن ت عدوان عمه الله لا تحصوه إن إلا إنسان

لَظَلُّومٌ كَفَّارًا [إبراهيم: 34]؛ ولن يفقدوا إلبا السخط والجزع والبغضاء والحقد والغل والحسد الذي يأكل قلوبهم وينغص عليهم حياتهم، ولن يكسبوا إلبا الرضا والسكينة والمطمأنينة وفوق ذلك شكر الله وشكر خلقه على عظيم فضله عليهم وبهم. (11) وإنما تميز الأستاذ عثمان الصالح رحمه الله بما يعيبه به أكثر من عَرَفَه: اختياره النظر إلى الحسنات أكثر من السيئات والمدح أكثر من الذم؛ تمامً عكس التيار العام سواء وصف بالإسلامي أو العلماني أو الحزبي أو الحركي أو الفكري أو الخارجي، فقد جمع الشيطان والمهوى أكثر الناس اليوم على مخالفة الشرع والعقل في دينهم وأخلاقهم، وأحكامهم على قدر الله وتصريفه وتديبيره، بل كراحتهم أمر الله وقدره واختياره. وقد عرفت الأستاذ عثمان الصالح معلماً بارزاً أثناء عمله مديراً لمعهد العاصمة النموذجي بالرياض وعملي بوزارة المعارف، وإن شكاني إلى نفسي وإلى عدد من الإخوة في منزله (أذكر منهم الأستاذ محمد بن علي الفايز والأستاذ عبد الله البراهيم رحمه الله) بأنني كتبت إليه انتقد منهجه في التعليم فبينت له أنني كتبت إلى أكثر العاملين في الوزارة وإدارات التعليم والمدارس الثانوية (بخاصة) أنتقد المنهج التعليمي (بعامة) لا أنتقد الأفراد؛ والأستاذ عثمان الصالح معدود من السابقين الأولين في التعليم المعصري بل من أبرزهم إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق، ولما يحصي إلبا الله كم أنتجت مؤسسته التعليمية من ولادة الأمر وكبار الموظفين ورجال الأعمال والأدباء والمهنيين، ولما أظن أحداً ينافسه في مرتبته غير الشيخ عبد الله خياط رحمه الله مدير مدرسة أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله ثم مدير كلية الشريعة بمكة المباركة (الأولى بالمملكة المباركة) ثم عضو هيئة كبار العلماء. وكان الأستاذ عثمان الصالح رحمه الله كاتباً بارزاً يتميز على أكثر الكتاب بالترفع عن السفه والطيش الصحفي المفسد. واختياره الخير على الشر والمدح على الذم أهله للأجر من الله - بإذنه - على حسن ظنه بأخيه المسلم وإحسانه إليه، وجن باه نقيصة ومعيبة اغتياب أخيه المسلم أو بهتانه. وأهله سمته ووزانتة وخبرته وسعة اطلاعه وكثرة تجاربه ومعارفه لنيل ثقة ولادة الأمر وعهدهم إليه بكثير من المسؤوليات خارج نطاق اختصاصه وتميزه التربوي والأدبي، تغمده الله بواسع رحمته وخلفه في أهله وولده بصلاحهم. وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتبعيه.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز المحصين عفا الله عنه. 1435/10/30هـ